مقدمة

يكاد يكون من المتعذر أن نعين فناً من الفنون الإسلامية لم يعتمد على التصوير[1] فى تحلية منتجاته : ففى التحف من الخزف والنسيج والخشب والمعدن والجص والحجر والفسيفساء وغيرها لعب التصوير دوراً على جانب كبير من الأهمية. وإن الزائر لمتاحف الفنون الإسلامية ليعجب لما يراه من كثرة التحف التى تدين بجمالها لما يزخرفها من صور بديعة .

ولم تقف زخرفة التحف الإسلامية بالصور عند حد الأجزاء الظاهرة منها ، بل إن التصوير قد أسهم فى تجميل كثير من الأجزاء التى قلما تظهر للعيان ؛ ومن الأمثلة على ذلك حرص الفنان المسلم على زخرفة شبابيك القلل بأنواع مختلفة من الصور ؛ ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة من شبابيك القلل بعضها يزينه صور آدميين جالسين القرفصاء ، منهم من له أنف طويل هزلى[2] ، ومنهم من يمسك بيده كأسا يقربه إلى فمه[3] ؛ ومن أجمل شبابيك القلل المزخرفة بالصور فى هذه المجموعة شباك قلة تزخرفه صورة طاووس جميل قد نشر ذيله ورفع رأسه فى زهو وخيلاء[4] .

وعلى الرغم من التأثير المتبادل بين الصور المنقوشة على التحف المصنوعة فى كل من العصور أو الأقطار الإسلامية فقد جرت العادة أن تدرس هذه الصور ضمن

---

(١) يفيد اللفظ فى اللغة الرسم بالألوان أو تمثيل شىء عن طريق الخرط أى بواسطة الكتل والأحجام . وسوف نقتصر فى استعماله فى هذا البحث على المعنى الأول فقط ، وسوف ننص على غير ذلك .

(٢) أرقام السجل ١٨٧٢٦ و ٣/٦٥٢٩ .

(٣) أرقام السجل ٣/٦٥٢٩ و ٤/٦٤٤٧ و ١١٢/٨٥٧٧

(٤) رقم السجل ٨٥٧٦ .

الفنون التطبيقية التى استخدمتها : أى أن تدرس مثلا الصور المرسومة على الخزف ضمن دراسة الخزف ، وأن تدرس الصور المحفورة فى الخشب ضمن دراسة الخشب ؛ والسر فى ذلك هو أن الصور نفسها تعتبر عنصراً من العناصر الأساسية فى هذه الفنون من جهة ، وأن طريقة الصناعة تتحكم فى أسلوب الصور المنقوشة عليها من جهة أخرى .

ومن ثم فإن هذا الكتاب سوف يعنى فقط بالتصوير الصرف كما يتمثل فى الصور الملونة التى تزين الجدران ، وكما يتمثل فى المنمنمات أو التصاوير التى رسمت لتزويق المخطوطات ، وتوضيح نصوصها : ذلك أن دراسة هذين الفرعين من فروع التصوير إنما تبحث فى التصوير لذاته ، غير متأثر بالفنون التطبيقية الأخرى . ومع ذلك فسوف نعقد بعض المقارنات بين صور هذين الفرعين وبين صور الفنون التطبيقية إذا لزم الأمر .

أما من حيث العصور الزمنية فسوف نقتصر فى هذا البحث على دراسة التصوير منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . وقد اخترنا الوقوف عند هذا التاريخ لأن التصوير الإسلامى من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) يدخل فى طور جديد يمكن أن يعتبر تمهيداً لتطوره الحديث . وفضلا عن ذلك فإن طريقة دراسة التصوير تختلف منذ ذلك الوقت اختلافا جوهريا عنها قبل ذلك : ذلك أن التصوير الإسلامى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) لا يُدرس إلا فى ضوء الإنتاج دون العناية بالمصورين أنفسهم ، وذلك بحكم ندرة المعروف عنهم ؛ فى حين أنه بعد القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تُنسب الصور فى كثير من الأحيان إلى مصورين ترد أسماؤهم أحيانا فى المصادر التاريخية ، ويتميز كل منهم بشخصية مستقلة وأسلوب خاص . ومن هنا تتغير طريقة

الدراسة تبعاً لذلك ، فيدرس التصوير الإسلامى منذ بداية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)على أساس دراسة الفنانين أنفسهم .

و إنى لأرجو أن يعقب هـذه الدراسة بحث قادم يتناول التصوير الإسلامى منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حتى العصر الحديث .

ولا يفوتنى أن أقدم خالص الشـكر للسادة علمـاء الآثار ورجال الفنون والمؤلفين الذين استعنت ببحوثهم ومؤلفاتهم و باللوحات التى نشروها فى تأليف هذا الـكتاب وتوضيحه .

والله ولى التوفيق .

١٩٥٩/٢/١

حسن الباشا

obeikandl.com